



الاتجاه الإسلامي الرَّافض للحضارة الغربية (النُّخب الفكرية والتنظيمات السِّياسية)

غيضان السَّيد علي *

مقدمة

ما إنَّ أحرز الغربُ انتصاره الحاسم في العام 1683م على الأتراك العثمانيين المهاجمين عند «فيننا» حتَّى أدرك مدى ضعف خصمه، وبدأ يتحوَّل من الدِّفاع إلى الهجوم المُضادَّ الَّذي تأخَّر ما يزيد على قرن من الزَّمن، انشغل فيها الغربُ بتأسيس المستعمرات في آسيا والعالم الجديد، حتَّى جاء العام 1798م، وبدأت الهجمات الأوروپية الغربية على العالم الإسلاميِّ فتمكَّن من بسط سلطانه على أغلب ربوع العالم الإسلاميِّ منذ منتصف القرن التَّاسع عشر عبر احتلال أراضيه بالقوة المُسلَّحة مستغلًّا حالة الضَّعف والوهن والتَّأخُّر العلميِّ والتقنيِّ الَّتِي كان عليها، فعمد إلى سرقة خيراته، واستغلال موارده الطَّبيعية، ولم يكتف بذلك؛ بل عمل على تغريب روحه، وطمس هويته، وجعله تابعًا له حضاريًّا وثقافيًّا؛ ما مثَّل لهذه الأمة تحديًّا يتطلَّب استجابةً عاجلةً ومناسبةً، ولكنَّها لم تكن استجابةً واحدة؛ بل كانت استجابات مختلفة؛ فهناك من رفض هذا الغرب وعدَّه عدوًّا خالصًا، يجب الاستقلال عنه والتَّخلُّص التَّام من هيمنة نُخبه وصنائه، وأنَّ أسباب النَّهضة

* أستاذ الفلسفة المشارك في كَلِّية الآداب جامعة بني سويف، مصر.

الحقيقية تكمن في المحافظة على التراث العربي الإسلامي بوصفه السبيل الأوحـد لوحدة الأمة وبقائها، وأنه لن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأن السبيل إلى ذلك هو نفض الغبار عن نفائس التراث، والعودة إلى صلب العقيدة، والوقوف على إيجابياتها التي كانت علة ازدهار الحضارة الإسلامية التليدة؛ بينما نظر آخرون إلى الغرب بوصفه الأنموذج الحضاري الذي يجب علينا تقليده، واتباع خطاه، وتبني تجربته؛ كي نصل إلى ما وصل إليه من تقدم علمي وحضاري ملموس، ومنهم من وقف موقفاً بين هؤلاء وأولئك، ورأى أننا يجب أن نأخذ من الغرب جوانبه التقدُّمية، ونطرح كل ما لا يتماشى مع ثقافتنا، وديننا، وهويتنا الإسلامية.

يروم هذا البحث الوقوف عند رؤية أصحاب الاتجاه الأول؛ تلك الرؤية التي رفضت الغرب، ورأت في الهيمنة الغربية ضياعاً لكل ما هو أصيل، وفقداناً للهوية، وأكدت أن كل ما يأتي من الغرب اليوم هو غزو ثقافي يتغيماً استمرار الهيمنة الغربية، ومحو كل استقلال شكلي نالته تلك الشعوب الإسلامية. ومن ثم، استغرب أصحاب ذلك الاتجاه قصور حركة الفكر الإسلامي والثقافة العربية عن مقاومة التغريب والغزو الفكري، ونددوا بالموقف المائع الذي تتعامل به الاتجاهات الأخرى، حيث لم يروا في موقفها العام سوى أنها إما دعوة صريحة، أو مُفْتَعَة للتغريب. فأكدوا أن الإسلام بمفرده قادر على التصدي لكل تفاصيل مظاهر حياة الفرد والمجتمع، من دون الحاجة إلى الاقتباس من الحضارات الأجنبية وأنظمتها. كما يرصد هذا البحث عبر عرض آراء نخبة الفكرية المختارة، أو تنظيماته السياسية للتطورات الحديثة في ذلك الاتجاه، خاصة بعد تراجع بريق «الأنموذج الغربي» منذ بضعة عقود. وما زال يتراجع يوماً بعد يوم. وبعد تفاقم مشكلاته: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، والثقافية، وعجزه عن تقديم حلول شافية وكافية لتلك المشكلات؛ ما ينذر بقرب تصدع أنموذجه الحضاري. ذلك فضلاً عن حالة الصَّحوة والاستفاقة الفكرية، والاستفادة من أخطاء الماضي وتجاربه؛ ما أدى إلى استعادة الثقة بالذات، وإلى طرح رؤى وبدائل إسلامية نقدية وحضارية لهذا الغرب.

يحاول هذا البحث أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة، ومن أهمها: ما تيار الرِّفْض والانغلاق؟ ما أهمُّ مُسَوِّغات رفضه وانغلاقه؟ ومن هم أبرز أعلامه؟ وما

أهمّ تنظيّماته السّياسيّة؟ وما بديله الحضاريّ؟

من أجل المعالجة الجيدة لهذا الموضوع، قمنا بتقسيم هذا البحث إلى قسمين رئيسيّين؛ يتناول القسم الأول موقف النّخب الفكرية الإسلاميّة الرّافضة للغرب؛ بينما يقف القسم الآخر عند أهمّ التّنظيّمات السّياسيّة التي وقفت من الغرب موقف الرّفرض والانغلاق.

مع التّنبه إلى أنّ ذلك لا يعني موافقتنا التّامة على كل ما جاء به مُمثّلو ذلك الاتّجاه، ولكننا أثّرنا العرض الأمين دون انقطاع حتّى لا يحدث تشتيت للقارئ على أن ندلي برأينا الخاصّ في الخاتمة.

موقف النّخب الفكرية الإسلاميّة الرّافضة للغرب

يُمثّل ذلك التيار الكثير من الشّخصيّات الإسلاميّة صاحبة المكانة الرّفيعة، والتّأثير في الثّقافة العربيّة؛ بل وفي تكوين الوجدان الفكريّ لعدد كبير من أبناء الأُمّة الإسلاميّة شرقاً وغرباً، حيث دعا أنصار ذلك التيار ونُخبه إلى رفض كلّ مظاهر التّحديث الأوروبيّ، ومقاطعة الغرب، والتّمسك بالكتاب والسّنّة، والعادات، والتّقاليد، وإحياء التّراث، والسّير على نهج السّلف، حيث إنّ أُمّة العرب - من منظور أصحاب ذلك التيار - لم تكن شيئاً مذكوراً قبل الإسلام، ثمّ أصبحت بفضل أُمّة عظيمة ذات حضارة زاهرة حتّى صارت كأنّها روح العالم وهو لها مجرد البدن، تلك الأُمّة آل أمرها إلى الفرقة، والتّشتت، والضعف، والانحطاط، حتّى أصبحت مطمعا للطّامعين، وهي مريضة مشرفة على الهلاك، وسبب ذلك الضّعف هو انحراف الأُمّة عن أصول دينها الذي به نهضت في الماضي، وبفضله سادت على الأُمم، وإذن، «فعلاجها النّاجح؛ إنّما يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته، وإرشاد العامّة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق، وإيقاد نار الغيرة، وجمع الكلمة، وبيع الأرواح لشرف الأُمّة»¹.

من أبرز الشّخصيّات الإسلاميّة التي تُمثّل ذلك الاتّجاه: محمد بن عبد الوهاب، والشاه ولي الله الدهلوي، والسيد أكبر حسين بن تفضل حسين، ويوسف الدجوي، والشيخ عليش، ومحمد الخضر حسين، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى صبري،

1- جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى والنّورة التحرّرية الكبرى، تحقيق: صلاح الدين البستاني، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1993م، ص 21.

وعبد الحليم محمود، وأنور الجندي، وأبو الأعلى المودودي، ومحمد محمد حسين، وسيد قطب، وغيرهم... على طول العالم الإسلامي شرقه وغربه. ولما كان إطار هذا البحث لا يمكنه تناول أفكار أولئك جميعاً فإننا سوف نتوقف عند نماذج مختارة من أبرز أعلام ذلك الاتجاه الذين يُمثلون- بحق- النخبة الإسلامية التي شكّلت فكر الكثير من الأفراد والجماعات ووجدانهم من شعوب العالم الإسلامي.

1. أبو الأعلى المودودي ورفض مبادئ الحضارة الغربية المادية:

وُلد أبو الأعلى المودودي (1903م - 1979م) بمدينة «جلى بورة» القريبة من «أورنج أباد» في ولاية حيدر أباد في الهند، رفض أبوه أن يرسله إلى التعليم بالمدارس الإنجليزية الغربية، واكتفى بتعليمه في البيت؛ حيث تتلمذ على يد أبيه اللغة العربية والقرآن والحديث والفقه، وتعمق الفتى بعد ذلك في العلوم الإسلامية بجهوده الذاتية. وعمل المودودي في الصحافة منذ العام 1918م، وترأس تحرير مجلة الجمعية في العام 1948م، وأصدر مجلة ترجمان القرآن في العام 1933م، وما زالت تصدر تلك المجلة إلى يومنا هذا، وأسّس المودودي في العام 1947م مدرسة إسلامية للاقتصاد تعمل على التخلص من الإرث البريطاني، كما أسّس الجماعة الإسلامية في الهند في العام 1941م، وقادها ثلاثين عاماً، ثم اعتزل الإمارة، وتفرغ للكتابة والتأليف، والجدير بالذكر أنه لما ازدادت حالته الصحية سوءاً ذهب بهدف العلاج إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي توفي بها في العام 1979م. وترك مؤلفات كثيرة بلغت 120 كتاباً ورسالة.

رفض المودودي الحضارة الغربية؛ لأنه رأى «أن الفلسفة والعلوم التجريبية الغربية (Science) اللتين نشأت في أحضانها المدنية الغربية ما زال اتجاهاهما إلى الدهرية والإباحية والإلحاد وحب المادة منذ خمسة، أو ستة قرون. لذلك، ما إن ظهرت تلك المدنية إلى حيز الوجود حتى عارضت الدين وخاصته»¹.

فتلك حضارة مادية تماماً يخلو نظامها من كل ما تقوم عليه حضارة الإسلام من خشية الله واتباع القصد، وحب الصدق، وطلب الحق، إلخ... فهي حضارة مناقضة تماماً لما يقوم عليه الإسلام، حتى إنه قال: «فكأن الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في جهتين متعاكستين، فمن ركب إحدهما هجر الأخرى ولا بُد. ومن أبى إلا أن يركبهما في الوقت الواحد، فاتاه معاً وانشق

1- أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية، جدة، 1987م، ص 15.

بينهما نصفين»¹.

من ثم، استنكر أبو الأعلى المودودي تلك التبعية الفكرية المقيمة للحضارة الغربية في الوقت الذي بلغت فيه أوج كمالها من المادية والدهرية والإلحاد، مؤكداً أن جوهر الاستقلال عن سيطرة الغزوة الاستعمارية الغربية لم يتحقق بعد، على الرغم من ارتفاع أعلام الاستقلال السياسي، وتسليم السلطة للعنصر الوطني، واكتساب عضوية الأمم المتحدة. فما زالت الهيمنة الفكرية والحضارية التي زرعتها المستعمر الغربي ترعاها اليوم النخبة الوطنية المتغربة «فها هي مدارسهم، ومكاتبهم، وبيوتهم، وأسواقهم، ومجتمعهم، حتى وأجسامهم، وأشخاصهم تشهد كلها بأنه قد استولت عليهم حضارة الغرب، وامتلكت نفوسهم علومه وآدابه وأفكاره. فهم لا يفكرون إلا بعقول غربية، ولا يبصرون إلا بأعين غربية، ولا يسلكون إلا الطرق التي قد مهّدها لهم الغرب، وقد رسخ في نفوسهم... أن الحق هو ما عند أهل الغرب حقّ والباطل ما يعدّونه هم باطلاً»². فخضع المسلمون بذلك لسلطة تلك الحضارة الغربية اللامتدنية كما خضعت لها أمم شتى، فالجميع في الشرق، أو الغرب قد نكب بأن سيطرت عليه تلك الحضارة المادية الخالصة³. على الرغم من أن طريق النهضة ليس بالضرورة هو طريق الغرب؛ وإنما بالتأكيد هو طريق البحث والتدقيق العلمي؛ إذ يقول: «إن الغلبة والاستيلاء المعنوي يقوم بنيانه - في الحقيقة - على الاجتهاد العلمي وتحقيقه. فكل أمة تسبق غيرها إليه تتولى قيادة العالم، وزعامة الأمم»⁴.

بناءً على ذلك، اعتقد المودودي في أهميّة «الصحة الإسلامية» بوصفها تياراً حضارياً يقوم على الرّفص التام، ومناهضة الهيمنة الغربية للوصول إلى برّ الأمان المتمثل في النّجاة من «المسخ التّغريبي»، ودعاة التّغريب⁵. ويجعل شرط ذلك وسيله أن ينبغ في المسلمين رجال من أصحاب الفكر والتّدقيق والتّحقيق، يهدمون بقوة فكرهم ونظرهم وبحثهم واكتشافهم تلك الأسس القائم عليها صرح

1- أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 24.

2- المصدر نفسه، ص 11.

3- المصدر نفسه، ص 41.

4- المصدر نفسه، ص 12.

5- محمد عمارة، بين العلمانية والسلطة الدينية، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، 1988م، ص 6.

الحضارة الغربية. ثم يمارسون مشاهدة الآثار والفحص عن الحقائق على هدي الأسلوب القرآني للفكر والنظر، ويبنون بذلك نظاماً للفلسفة جديداً منتزعاً من الفكر الإسلامي الخالص، ويرفعون قواعد علوم طبيعياً جديدة تنهض عمارتها على الخطوط المرسومة في القرآن الكريم، ويبطلون النظرية الإلحادية إبطالاً، ويؤسسون الفكر والتحقق على النظرية الإلهية، ثم يتقدمون بتلك الحركة - حركة الفكر والتحقق والتدقيق - بقوة وعزيمة تضمنان السيطرة على جميع العالم، وتقوم في الدنيا حضارة الإسلام الحقّة مكان حضارة الغرب المادية¹.

من ثمّ، لم يكن غريباً أن يرفض أبو الأعلى المودودي مبادئ المدينة الحديثة وقيمها في الغرب في مختلف صورها؛ الحضارية، والمدينة، والسياسية، والاقتصادية والفكرية، وشؤون الحكم والإدارة؛ بل وحياة الأسرة، والفرد، والمجتمع.

قد رأى المودودي أنّ تلك المبادئ - التي استوردتها الأنظمة المستغربة في بلادنا - تقف في تقابل مع مبادئ الإسلام التي غفل عنها العالم؛ نتيجة الضعف والوهن اللذين انتابا العالم الإسلامي المهزوم أمام الغلبة المعنوية والمادية للحضارة الغربية؛ إذ يرى أنّ مجتمعات الحضارة الغربية قد أقصت الدين من حياتها تماماً فصارت حضارة بلا دين - وبطبيعة الحال وبحكم التبعية - بلا أخلاق أيضاً. الأمر الذي يظهر جلياً من نقده لرواد الحضارة الغربية وعلمائها في معظم كتاباته، الذين رأى أنّهم انطلقوا من نقطة الإلحاد والمادية؛ فأروا أنّ الكون لا خالق له ولا إله. ونظروا إلى الأنفس والآفاق زاعمين أنّ الحقيقة كلّها منحصرة في ما يحسه المرء، أو يشاهده من حقائق مادية ملموسة. وأنّه لا شيء من وراء هذا الظاهر المرئي، فلا وجود هنالك لجانب آخر غيبي روحي، يتمثل في الآخرة، حيث الحساب والثواب والعقاب، وأنهم (علماء الغرب وفلاسفته) درسوا قانون الفطرة وفهموه بوسائل التجربة والقياس، لكنهم لم يتمكنوا من أن يصلوا من ذلك الطريق إلى واضع ذلك القانون؛ لتظل الحضارة الغربية بكل منجزاتها لدى المودودي حضارة علم مجرد من كلّ قيمة، علم أساسه ماديّ وغايته مادية؛ ما يعكس معه صراعات، وأزمات، وحروب، وكوارث؛ تزيد من مآسي العالم ومحنه بدلاً من أن تأخذ بيده إلى السعادة والرفاهية. وقد خصّص المودودي كتابين من أهم كتبه لنقد الحضارة الغربية، وهما: «الإسلام والمدينة الحديثة»، و«نحن والحضارة الغربية».

1- أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، مصدر سابق، ص 26-27.

أذَانٌ فِيهِمَا مَخْتَلَفٌ قِيمٌ تِلْكَ الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ وَمَبَادِئُهَا تَمَهِيدًا لِرَفْضِ تَطْبِيقِهَا فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ.

دعا المودودي إلى مدينة إسلامية تنبع من مبادئ الإسلام وأُسسها، في مقابل تلك القيم المدنية الغربية، مرتتياً أن سيادة مبادئ تلك المدينة الغربية في الواقع الإسلامي هي التي جرّت عليه ما جرّته من العواقب الوخيمة. فما يُشاهد اليوم من فظائع تلك المدينة الحديثة في أنحاء العالم، أهون بكثير ممّا ينتظر- إن قُدِرَ للبشرية البقاء- العالم في المستقبل، من فظائع تكون أشدّ فظاعةً، وأنكى ألماً بصورة لا يمكن تصوّرها¹. ومن ثمّ، وجبَ نقدُها وبيان تهافتها وفسادها، وضرورة توضيح ذلك لجمهور المسلمين للتخلّص منها مع تقديم بدائل عملية لتلك المبادئ، اعتقد المودودي في صلاحيتها وسدادها. مؤكداً ضرورة العودة إلى «جوهر الإسلام الحضاري»، وتطهير الأرض من أدناس قادة الكفرة الفجرة، وسيادتهم التي هي منشأ جميع الكوارث والنكبات التي مُني بها الجنس البشري، وإقامة نظام الإمامة الصالحة الرّاشدة التي هي غاية الدين الحقيقيّة².

هكذا، يرفض المودودي الفكر الغربيّ مُرتتياً بأنّه منبع الشُّرور والمصائب والمآسي التي تعاني البشرية من جرائمها اليوم ما تعانیه.

2. مصطفى صبري ومواجهة الإلحاد القائم على العلوم المادّية الغربية:

يُعدُّ الشيخ مصطفى صبري (1869م- 1954م) من أكبر دعاة الرّفْض والانغلاق أمام دعاة الحضارة الغربية، وقد وُلِدَ في مدينة توكاد؛ من توابع ولاية سيواس في الأناضول. وتعلّم في قيصريّة، ثمّ انتقل إلى إسطنبول لاستكمال تحصيله العلميّ. وفي إسطنبول، شدّ نبوغ الشيخ وتميّزه المبكر انتباه مشايخه حتّى عُيِّن مُدرّساً في جامع السُلطان محمد الفاتح- أكبر جامعة إسلامية في إسطنبول آنذاك- وهو في الثانية والعشرين من عمره، ثمّ أصبح أميناً لمكتبة السلطان عبد الحميد الثاني، ثمّ انتخب نائباً عن بلده «توكاد» في «مجلس المبعوثان العثمانيّ»، وكان

1- أبو الأعلى المودودي، الإسلام والمدنية الحديثة، منشورات منبر التوحيد والجهاد، ص 1. تمّ الاطلاع في تاريخ 27/2/2021 على الرّابطة الإلكترونيّة التالي:

http://mktba22.blogspot.com.eg/2015/10/pdf_477.html

2- أبو الأعلى المودودي، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص 6، 12.

في تلك المرحلة رئيسًا لتحرير مجلة «بيان الحق»، وهي مجلة إسلامية كانت تُصدرها الجمعية العلمية، كما عُيِّن عضوًا في دار الحكمة الإسلامية، فرَّ من اضطهاد الاتحاديين له في العام 1913م إلى مصر، وبعد جولة في بلاد الغرب عاد إلى مصر، حيث اتخذها وطنًا ثانيًا أقام فيها حتى لقي ربه. وللشيخ مصطفى صبري رحمته الله مجموعة من الكتب المهمة بالتركية والعربية طبع بعضها وبعضها الآخر لم يُطبع بعد، هذا فضلًا عن مئات المقالات بالتركية والعربية نشرها على صفحات الجرائد، ولم تجمع بعد.

يرى الشيخ مصطفى صبري أن العلم المادّي الغربي وفلسفته العامة قامت على مُسلمة أساسية وهي أن «كل معقول لا يُؤيده محسوس لا يُعتدُّ به»، وبذلك، يخرج الغربيون من دائرة العلم ما لم يثبت عن طريق الحس والتجربة، وهو الأساس الذي اعتمده الفلاسفة التجريبيون في الغرب من أمثال: ديفيد هيوم، وجون لوك، وغيرهما. وقد أدى تطبيق ذلك المنهج المادّي على الطبيعيات إلى التقدّم المادّي الهائل، لكنهم حينما طبقوه على مسائل ما وراء الطبيعة من غيبيات قادهم إلى الإلحاد والتحلُّل، حيث أنكروا عالم الغيب وحسبوه خرافات وأساطير لعدم وقوعه تحت حواسهم وتجاربهم، وادّعوا بأنّ الدين يناوئ العلم والعقل¹. وقد افتتن عددٌ من أبناء الأمة العربية والإسلامية عقب الغزو الأوروبي لبلاد المسلمين بالفلسفة المادّية الوضعيّة وبالمنهج المادّي الحسيّ؛ ما أدى إلى اهتزاز اليقين داخلهم، ونادوا بأنّ أسباب تخلف العالم الإسلامي هو تمسّكهم بالغيبيات، وبعثوها جملةً بالميثولوجيا؛ أي الأساطير والخرافات².

يقول الشيخ صبري: «وقد أتصل الشرق الإسلامي بالغرب منذ أكثر من مئة سنة، فأخذ يرتشف من مناهله العلمية، ويقتبس من مدينته المادّية، فوقف في ما وقف على تلك الميثولوجيا، ووجد دينه ماثلاً فيها، فلم ينبس بكلمة؛ لأنّه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله، ولكنّه استبطن الإلحاد مُتيقّنًا أنّه مصير إخوانه كافة

1- مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1997م، ص320.

2- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1981م، ص30.

متى وصلوا درجته العلميّة»¹.

من هنا، نظر الشيخ مصطفى صبري إلى العلم الغربي بوصفه دعوة للإلحاد لا بُدَّ أن يتمّ التصدّي لها، وأنّه إذا شاع العلم المادّي في بلاد المسلمين فما علينا إلا أن نقول للذين لا يؤمنون بالغيب، كما يقول صبري: «انتظروا وأنتم معذورون في الانتظار حتّى تُكتشف في الغرب آلة تعرض الله على الحواس!!»².

قد ترتّب على الإلحاد المستشري في تلك البلاد فساد الأخلاق، حيث أصبح سعي أهلها في هذه الأرض مثل السائمة السمينّة القويّة الخالية من فكرة التّطلع إلى سماء الدّين والأخلاق. ومن ثمّ، لم يكن غريباً أن يرفض الشيخ مصطفى صبري كلّ ما يأتي من الغرب؛ لأنّها بلاد أدّى غياب الدّين عنها إلى فساد الأخلاق، وفساد الأخلاق عنده مذمّة لا تُدانيها مذمّة أخرى، وفي ذلك يقول مصطفى صبري: «ولهذا، أصبح التّقدّم المشهود في بلاد الحضارة الجديدة مليئاً بالفسق والفجور حتّى إنّ اتّساع الميدان للفسق والفجور في تلك البلاد يُعدُّ من لوازم تقدّمها. فإنّ كانت حاجة أيّ أمة في أخذ حصّتها من التّقدّم والنّهوض في الحضارة الجديدة، مُسلّمة إلى حدّ لزوم الإغماض عمّا تستتبعه تلك الحضارة من فوضى الأخلاق، فنحن المتأخّرون نُلأم بالتّقصير في مهّمّتنا ويكون حرباً أن يحسبنا المتقدّمون دونهم في مرتبة الإنسانيّة، وإلا فالأمر بالعكس، ونحن أسعد منهم وفوقهم»³؛ أي أنّه يرفض ذلك التّقدّم الذي يستغني عن الدين والأخلاق، ويرى أنّ الأمة التي هي بلا دين وأخلاق هي أخطّ الأمم مهما امتلكت من مظاهر التّقدّم التّقني والقوّة الاقتصاديّة والعسكريّة.

من المنطلق ذاته، يُوجّه صبري سهام نقده إلى العقل الغربي مُرتين بأنّه عقل شيطانيّ، مع إقراره بأنّ لعقول الغربيين تقدّم في المادّيّات لا في المعنويّات. فلمهم النّصيب الأوفر من عقل ينفع صاحبه في الدنيا، ويستفيد منه شرار النّاس أكثر من خيارهم، وعقولهم من جنس عقل الشيطان الذي أمره الله تعالى مع الملائكة بالسُّجود لآدم فسجدوا وأبى، فكان ما اكتسبه الشيطان من عقله الخاطيء الذي

1- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين، مصدر سابق، ص 24.

2- المصدر نفسه، ص 388.

3- المصدر نفسه، ص 11.

حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء، أن أصبح رجيماً يغوي من بني آدم من كان لهم عقل مثل عقله وغاية مكتسبة مثل غايته، كما أن غاية عقلاء الحضارة الغربية الجديدة أن يعيشوا ويموت غيرهم¹. كان ذلك هو حال أهل الغرب المُتَحَكِّم على الشرق المُسَلَّم ومرجعه التَّوَعُّل في الضَّلالات. وَمِنْ ثَمَّ، يستغرب صبري أن يرى عقلاءنا المُثَقِّفين من المسلمين الجُدُد يقتدون بالغرب، ويحسبون ذلك الاقتداء عماد النّهضة والثقافة لهم!

يُصْرِحُ صبري أن خطر سلاح الإلحاد الذي كان السَّبب الأعظم في هزيمة تركيا عن طريق حزب الاتحاد والترقي الذي تشبّع بالفكر الإلحادي الغربي، وأصبح يُهدّد بلاد العرب؛ بل رأى أن أهل تلك البلاد قد توغّلوا في تقليد الغرب، وسابقوا الترك في الافتتان به². حتّى قال: «تجلو الإنجليز عن مصر بعد الحرب العالميّة الثانية؛ لأنها بلغت رشدها في الابتعاد عن الدين، ولم تعد تحتاج إلى شيطان الوصاية»³. مِنْ ثَمَّ، فعلى المسلمين في كل ربوع العالم الإسلامي أن يستمسكوا بدينهم وبأخلاقهم، وأن يقلعوا في الحال عن تقليد الغرب، حتى تُعاضد قوّة دينه قوّة عقله؛ فللمسلم قوتان: قوّة من دينه، وقوّة من عقله، ولا قوّة لمن لا دين له من دينه، والغربيّ في حرب مستمرّة بين دينه (إن كان يدين بدين) وعقله المتعارضين، فينقص كلُّ منهما من قوّة الآخر، ولا يدخل في قلب صاحبه إلاّ مفتوت العضد، في حين أن قوتَي: الدين والعقل سلیمانان في قلب المسلم متحالفتان. أمّا الذين يُقلّدون الغرب في الشرق مُتديّنيهم وملاحدتهم معاً فلهم قوّة التقلید فقط⁴.

يتّضح ممّا سبق، بيان كيف رفض الشيخ مصطفى صبري علوم الغرب ومعارفهم الماديّة التي تساعد على الإلحاد وإنكار الخالق العظيم. كما ينتقد أولئك المستغربين من أبناء الشرق، وهم كُثُر وقد ذكر منهم الكثير الذي يضيق الإطار هنا بذكرهم، وقد وصفهم بأنهم من يبيعون بضائع الغرب الفاسدة بأثمان باهظة في الشرق. كما نفى حصر العلم في العلم الماديّ فقط كما يزعم الغربيّون، وأنهم

1- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصدر سابق، ص 12.

2- المصدر نفسه، ص 23.

3- المصدر نفسه، ص 30.

4- المصدر نفسه، ص 14.

قد تناقضوا مع أنفسهم كثيراً؛ حيث أطلقوا لفظ العلم على أشياء لم تقع في حيز الحس، أو الملاحظة والتجربة من قبيل نظرية داروين في النشوء والارتقاء، وهي لم تبين على التجربة الحسية؛ وإنما بُنيت على الفرض والتخمين الخاطي. ورأى أن التمسك بالدين الإسلامي هو طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، وقد حث الإسلام على طلب العلم، وإعمال العقل، ولكن ليس على طريقة الغربيين، الذين ينكرون وجود الله ووجود النبوة، ووجود المعجزات، وسائر الغيبيات؛ لأنها لا تقع ضمن إطار التحقق الحسي.

كما حذر صبري من علوم الغرب السياسية، وخاصة في ما يتعلق بدعوته إلى فصل الدين عن الدولة جملة وتفصيلاً، وحسبها مؤامرة للقضاء على الدين وثورة حكومية على دين الشعب. ودعا إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، ونبذ مختلف القوانين الوضعية، وذلك لعدم صلاحيتها للتطبيق، وعدم كفايتها لتنظيم شؤون الأمة. فضلاً عن الموانع الكثيرة التي تحول بين تفعيلها في البلاد الإسلامية¹. كما عارض حركة تحرير المرأة، ودعا المرأة المسلمة إلى القرار في بيتها، وعدم مخالطتها للرجال الأجانب، والاحتفاظ بزيها الإسلامي، وحجابها الكامل عند خروجها من بيتها².

لذلك كله، يُعدُّ الشيخ مصطفى صبري من أعلام الفكر الإسلامي الذين قاوموا التبعية الفكرية الدليلة للغرب وعلومه، وتصدّوا لتيارات التحلل والكفر والإلحاد³. مُرتبياً أن التمسك بكل ما جاء في الدين الإسلامي من إلهيات وأخلاق، وعبادات، ومعاملات، وشرائع هو السبيل الأوحى للنهضة والتقدم. ومن ثم، كان على رأس تيار الرّفص والانغلاق ومُعاداة الفكر الغربي وسمومه المبتوثة بمختلف صورها وأساليبها، والدعوة إلى تخليص الفكر الإسلامي من آثاره. فلم ينبهر بالتقدم الحضاري الغربي وطغيان فلسفته المادية كما حدث للكثيرين من أبناء الأمة

1- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصدر سابق، الجزء الرابع، ص 281 وما بعدها.

2- مصطفى صبري، قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلّدة الغرب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1354هـ/1935.

3- مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مصدر سابق، ص 611.

الإسلامية شرقاً وغرباً، وناهض ثقافته وعلومه المادية التي تُؤسس للإلحاد.

3. أنور الجندي: مواجهة مؤامرة التغريب ومقاومة إذابة الشخصية

الإسلامية:

أنور الجندي (1917م - 2002م) أديبٌ ومفكرٌ إسلاميٌّ موسوعيٌّ، وُلِدَ بقريّة ديروط التابعة لمركز أسيوط بصعيد مصر، عمل في مجال الصحافة الإسلامية، واشتغل بالدراسات الإسلامية، تجاوز عدد مؤلفاته أربع مئة كتاب ودراسة ورسالة في شتى المجالات الفكرية (إسلامية - أدبية - سياسية - تاريخية - في الإعلام والسير - اجتماعية - فلسفية - مجالات أخرى)، لكن كتاباته التي حظيت بشهرة واسعة كانت تلك الكتابات التي اهتمّ فيها بالتغريب، والغزو الثقافي، ونقد الاستشراق، وفضح مؤامرة تغريب العالم الإسلامي، وموقف الإسلام من التيارات الوافدة، وما كتبه عن الصحوة الإسلامية.

لقد انطلق الجندي في مواجهة المؤامرة التغريبية على العالم الإسلامي من منطلق أنّ التغريب هو مؤامرة غربية تستهدف الحيلولة دون قيام وحدة الفكر الإسلامي، الذي هو مصدر وحدة الأمة، والعمل على بلبلّة العقول والنُفوس بعشرات من المذاهب والدّعوات، وتعميق الفوارق الثقافية والاقتصادية في الأمة الواحدة بما يحول دون قيام الوحدة، والعمل على إخراج المسلمين من هويتهم الإسلامية التي أقامها الإسلام من خلال مجتمعهم، وكيانهم، ووجودهم السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، وصهرهم في بوتقة الغرب¹. وخلق روح الشك والتشاؤم والانتقاص في المسلمين لإسلامهم، وتأخير يقظة المسلمين ونهضتهم بإشاعة السُموم، ومحاولة فرض نظريات يقنعون بها الناس بوصفها منطلقاً للتقدم والنهضة، وكلها ترمي إلى حجب الإسلام وتراثه وقيمه، واعتناق ذهنية الغرب المادية الإباحية التي تواجه اليوم انهياراً شديداً، وتمرّ بمرحلة الهزيمة والسقوط². فالتعليم الوافد هو الخنجر المسموم الذي طُعن به الأمة الإسلامية³.

وهو يُصرّح بتلك المُسلمة في جُلّ كتبه إن لم يكن كلّها؛ إذ يقول: «يجب أن

1- أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، تصدر عن الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، مطابع روزا اليوسف، القاهرة، د.ت، ص 3.

2- أنور الجندي، المعاصرة في إطار الأصالة، دار الصحوة، القاهرة، 1987م، ص 12.

3- أنور الجندي، أهداف التغريب في العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 14.

يكون واضحاً لنا نحن المسلمين أنّ المؤامرة التي بدأت منذ نزول القرآن، وظهور الإسلام لا تزال مستمرة، وهي في كلِّ عصر تأخذ طابعاً مختلفاً، وقد نبأنا الله تبارك وتعالى من أخبارها، وجاءت الأحداث متوالية ومتتابعة؛ لتكشف لنا أبعاد المؤامرة التي تُدبر للإسلام»¹.

مِنْ ثَمَّ، يرى الجندي أنّه يجب أن ننظر إلى تلك المحاولة الماكرة الخبيثة في يقظة، وأن نقف موقفاً حاسماً من تلك المحاولات التي لا تتوقف وتجري تحت مُسمّيات مُتعدّدة في محاولة لاحتواء الإسلام تحت أسماء: «وحدة الأديان»، و«تطوير الشريعة»، والادّعاء الكاذب بأنّ الإسلام قابل للديمقراطية، وقابل للاشترائية، وقابل للإمبريالية، وأنّ العدل الاجتماعي هو الاشتراكية، وأنّ الشورى الإسلامية هي الديمقراطية². فكلُّ تلك المحاولات عند الجندي ترمي إلى أن يتنازل الإسلام عن حدوده ومقوماته؛ ليقبل الحضارة الغربية المعاصرة في فسادها وانهارها، وأن يكون مُسوَّغاً لانحرافها. ولذلك، يرى الجندي أنّه يجب على المسلمين أن يتصدّوا له بكلِّ قوّة، مُرثيًّا أنّ «تلك الأمة التي تمتلك منهجاً ربّانيًّا لا يجوز أبداً أن تترك الجوهر الذي تملك، وتبحث عن التراب والصفّيح الذي في أيدي النَّاس»³.

قد هاجم الجندي ما أسماهم أذنان الاستعمار وصنّاعه وسائر التّغريبيين ممّن خدعهم بريق الحضارة الغربية، حتّى ظنّوا أنّها نبوّة جديدة للبشرية تنسخ الأديان، وتدفع إلى التّأويل، وتدعو إلى (تطوير) القيم حتّى تطابق ذلك الواقع المضطرب الذي تعيشه المجتمعات الغربية؛ نتيجة فساد وجهة الحضارة الغربية وخروجها عن أمر الله، وغياب وجهتها الربّانية ومنطلقها الأخلاقي. أولئك التّغريبيون الذين يصفون الإسلام بأنّه القديم، أو بأنّه التّراث، أو حسب تعبير بعض الماركسيّين (السّلفيّة التّراثيّة) ظنّوا منهم أنّ المسلم يخشى أن يوصف بأنّه سلفي، أو تراثي، أو مُتعلّق بالقديم، أو راغب في العودة إلى المنابع...، أو ربّما يهيئ لهم أنّه يظنّ أنّ

1- أنور الجندي، سقوط الأيديولوجيّات وكيف يملأ الإسلام الفراغ، سلسلة دعوة الحق، العدد (139)، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، السنة الثانية عشرة، رجب 1414، ص 114.

2- أنور الجندي، الطريق إلى الأصالة والخروج من التّبعية، مصدر سابق، ص 12.

3- المصدر نفسه، ص 6.

ذلك يحطُّ من قدره في مواجهة دعاة التَّقْدِميَّة، والعصريَّة، والحادثة¹. يرفض الجندي انصياع المسلمين للحضارة الغربيَّة؛ إذ يرى أننا أمة لها حضارة أضاءت العالم ألف عام، ولنا منهجٌ ربَّانيٌّ جامع، ولا يجوز لنا أن نكون مُستعبدين، أو مُقلِّدين، أو تابعين، ولا يمكن أن نقع تحت سيطرة حضارة كانت مُنفوِّقة، وهي الآن في طريق الغروب².

إذا كان الجندي يقف في صفِّ الرَّاغِبِينَ بقوَّة لآراء التَّغْرِيْبِيِّين، فإنَّه -أيضاً- يرفض تلك الرؤية التي تحاول أن توفِّق، أو تخلط بين الفكرين: الإسلامي والغربي؛ إذ يتساءل: «كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على التَّكامل والنَّظرة الجامعة مع فكر الغرب القائم على المادِّيَّة الخالصة؟ كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على الوحدانيَّة الخالصة بفكر الغرب القائم على التَّعدُّد والوثنيَّة؟ كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام الذي يؤمن بأنَّ الله تبارك وتعالى هو نقطة البدء، وهو غاية الوجهة مع الفكر الغربي الذي يُؤلِّه الطَّبيعة، أو يُؤلِّه الإنسان، أو يُؤلِّه المادَّة؟ كيف يمكن خلط الماء والزيت؟ كيف يمكن أن تقوم قوائم النَّهضة العصريَّة بإضافة ثراث أمة عاشت أربعة عشر قرناً في إطار منهج جامع مُتكامل أضاء العالمين مشرقاً ومغرباً مع فكر مادِّي ليس له رصيد قديم إلاَّ الأساطير؟ وأنَّ كلَّ ما فيه من قوَّة الآن وهو «التَّجْرِب» فقد أخذه من الإسلام ونماه وصنع به حضارة الغرب»³.

هنا، يؤكِّد أنور الجندي أنَّ التَّحديث المادِّي والتَّقنيَّ ممكن للعالم الإسلامي دون أن يفنى المسلمون في الحضارة المادِّيَّة. وإن كان الجندي يصرِّ على أنَّه لو استعنا في نهضتنا المنشودة ببعض العلوم التَّجْرِبِيَّة الغربيَّة، فإنَّه يجب أن تكون مثل (مادَّة خام) تقبل إعادة التَّشكيل في دائرة فكرنا وحضارتنا⁴، وأن تكون قابلة للانصهار في الفكر الإسلامي حتَّى تُطبع بطابعه، ولا تتعارض بصورتها القائمة مع مفاهيم الإسلام وقيمه. وهو يقترب في ذلك من رؤية أبي الحسن الندوي الذي يرى أننا إذا اضطررنا للاقتباس من الحضارة الغربيَّة - التي هي ليست حضارة إقليمية خاصَّة

1- أنور الجندي، الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية، مصدر سابق، ص28.

2- أنور الجندي، المعاصرة في إطار الأصالة، مصدر سابق، ص6.

3- المصدر نفسه، ص19.

4- أنور الجندي، الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية، مصدر سابق، ص43.

بالأوروبيين؛ وإنما هي ثمرة جهود الفضلاء من كل الحضارات- فعلىنا أن نعامل تلك الحضارة بوصفها (مادة خام) نصنع منها ما يُطابق قامتنا وقيمتنا، لا مثل أشياء قد حُتِمت بخاتم الكمال، فلا نزيد عليه أو ننقص، ولا نحدث فيه تعديلاً. إن لكل أمة قامة وقيمة، فليكن لباسنا مطابقاً لقامتنا وقيمتنا، نأخذ الحضارة الغربية فنصهرها صهراً جديداً في بوتقتنا، ونبعد عنها عناصر المادية وعناصر اللادينية، وعناصر الشّهوانية، وعناصر الأنانية، ونخضعها لأغراضنا ولمدنيّاتنا ولرسالتنا، وذلك هو الاقتباس الكريم، وذلك هو الذي فعله الصحابة رضي الله عنهم في القليل الذي اقتبسوه من الحضارتين: الرومانية والإيرانية¹.

فكثيراً من علوم الغرب- في عُرف الجندي- لسنا في حاجة إليها، ولا بُدَّ أن نوصد أمامها كل المنافذ التي يمكن أن تنفذ إلينا منها، وذلك من قبيل مفاهيم النفس، والأخلاق، والاجتماع، ومنهج العيش الغربي؛ فالغرب يمرُّ اليوم بمرحلة العبودية للجنس، والإباحة، والجريمة، والاستهلاك، وتبديد الثروات التي وضعها الله تبارك وتعالى للبشرية، وذلك ما لا يدخل في إطار التقدّم، ولكن يدخل في إطار الانحراف².

بناءً عليه، يُقرّر الجندي أننا لا نحتاج إلى أساليب اليونان وفلسفاتهم، ولا إلى إحياء تلك الأفكار التي هدمها علماء المسلمين، أمثال: الأفلاطونية، أو الغنوصية، أو غيرها من فلسفات قديمة، أو جديدة لم تكن إسلامية أصلاً التي حاول بعضهم إحياءها في ظل الإسلام، ومحاولاً جرّ قدم المسلمين إلى مستنقع الفلسفات والتأويل. ومن ثمّ، يُحذّر الجندي من الانفتاح على الفكر الغربيّ مُتسائلاً: كيف يمكن أن تحتفظ شخصيتنا الإسلامية بكيونوتها، ووجودها، وذاتيتها، وتمييزها الخاص إذا تركت بغير حصون أمام عواصف الفكر الغربيّ؟!³. كما دعا الجندي إلى وضع محاذير إزاء تعلّم اللغات الأوروبية؛ مُعللاً ذلك أن هدف الغرب من تعليم لغته لأبناء الأقطار الإسلامية هو تحويلهم لأولياء للثقافات الغربية! أو أن يصبحوا أتباعاً للغرب، وأعداءً لأمتهم وعقيدتهم⁴.

1- أبو الحسن الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، دار المجتمع، جدة، 1987م، ص14.

2- أنور الجندي، المعاصرة في إطار الأصالة، مصدر سابق، ص6.

3- أنور الجندي، الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية، مصدر سابق، ص9-10.

4- مصدر نفسه، ص32.

إنَّ الحقيقةَ التي لا محيد عنها - من منظور الجندي - هي أنَّ المسلمين والعرب ينهضون بمنهجٍ مُختلفٍ عن منهج الغرب، بمنهجٍ إسلاميٍّ أصيل، يستمدُّ وجوده الحقيقيَّ من القرآن الكريم والسُّنة النَّبويَّة، وأنَّ كلَّ محاولةٍ لاحتوائهم في منهجٍ آخر؛ إنما هي وسيلةٌ مأكرةٌ لاستبقائهم في التَّيه مرحلةٍ أخرى، وتأخير امتلاك إرادتهم وهي وسيلةٌ معروفةٌ ترمي إلى استنزاف ثرواتهم، وتدمير مقوماتهم، وهدم معنوياتهم، ووضعهم في دائرة الاستسلام والتَّبعية من جديد¹.

لذلك، دعا الجندي إلى ضرورة الوقوف دون ذوبان الشخصية الإسلامية وسحق كيائها، عن طريق إشاعة نظريات الجنس والإباحة، والوجودية، ونسبية الأخلاق، والتطوُّر المطلق، وغيرها من نظريات توضع في أساليب لها طابع علميٍّ براق، وتشر في كتب وصحف لها طابع مزخرف جذاب، وكلها - من منظور الجندي - محاولات لتضليل الفكر، تدفع إلى الاستسلام في مجال المواجهة².

التنظيمات السياسيَّة الإسلاميَّة الرافضة للغرب

التنظيمات السياسيَّة هي الأحزاب والهيئات السياسيَّة التي ينتظم في سلكها أفرادًا يتقاسمون أيديولوجيةً واحدةً واتجاهًا واحدًا يكون مثل القاعدة التنظيمية التي يترابطون على أساسها. ولتلك التنظيمات صورٌ شتى سواء كانت أحزاب سياسيَّة، أو منظمات غير حكوميَّة، أو جماعات دعويَّة، أو جماعات المصالح الخاصَّة. ومن أهم أهدافها وخصائصها استمرارية التنظيم، والرغبة في ممارسة السُّلطة، والبحث عن مساندة شعبية، واكتساب أعضاء جدد.

الحركات الإسلاميَّة في جوهرها ما هي إلا عمل سياسي واجتماعي إسلامي في الفضاء العام، يهدف إلى إحداث تأثيرات إسلامية سياسيَّة واجتماعية وثقافية ودينيَّة في ذلك الفضاء العام عبر عمل عام له صور وأساليب شتى. ومن ثمَّ، فإننا عندما نتحدَّث عن حركة إسلامية؛ إنما يكون حديثنا عنها بوصفها تنظيمًا سياسيًا مُكتمل الأركان.

يجدر بنا أن نشير إلى أنه يكاد يتفق جُلُّ من كتب عن الحركات الإسلاميَّة

1- أنور الجندي، المعاصرة في إطار الأصالة، مصدر سابق، ص 14.

2- أنور الجندي، شُّبهات التَّغريب في غزو الفكر الإسلامي، دمشق/بيروت، المكتب الإسلامي، 1978، ص 5. وانظر أيضًا للمؤلِّف نفسه، المعاصرة في إطار الأصالة، مصدر سابق، ص 61.

المعاصرة على أنها نهراً عاماً تنبثق منه روافد عديدة، أو إن شئت قل: إنها حركة عامة تتكوّن من فصائل، أو تيارات متعدّدة ومختلفة. لكن الباحثين اختلفوا في الأقسام التي تندرج تحتها الجماعات والفصائل التي تتكوّن منها الحركة الإسلامية المعاصرة¹. ومن ثمّ، لم يكن غريباً أن يكون موقفها من الغرب موقفاً موحّداً تتخلّله اختلافات شكلية؛ ليبقى جوهر موقفها واحداً. ولما كان نطاق هذا البحث ينوء بعرض جميع التّنظيمات السياسيّة الإسلاميّة، فإننا سنكتفي بتناول موقف أشهر حركتين سياسيتين إسلاميتين في العالم الإسلامي من الغرب، وهما: موقف الحركة السّلفيّة بوصفها أشدّ الحركات الإسلاميّة رفضاً للغرب وحضارته، وموقف جماعة الإخوان المسلمين بوصفها الأكثر انتشاراً في العالم الإسلاميّ.

1. موقف الحركة السّلفيّة من الغرب:

في البداية، قد يرى بعضهم أنّ السّلفيّين لم يمارسوا السياسة، ولا يمكن إدراجهم تحت مُسمّى التّنظيمات السياسيّة. وفي الحقيقة، ذلك تصوّر خاطئ تماماً؛ فقد مارس السّلفيّون السياسة منذ عقود في باكستان والكويت والبحرين، فيما كان لهم دورٌ سياسيٌّ في السودان من خلال «جماعة أنصار السّنة المُحمّديّة» عقب الاستقلال في العام 1956م، وفي السّعودية من خلال مُذكرة النّصيحة والانتخابات البلديّة التي قدّمها سلفيو الصّحوة في العام 2004م، وفي الإسكندرية من خلال مقاطعة الدّعوة للانتخابات البرلمانيّة إبان حكم مبارك. وعقب ثورة يناير المصريّة في العام 2011م، أضحى السّلفيّون لاعباً أساسياً في الحياة السياسيّة، ودخلوا في مواجهاتٍ ومنافساتٍ مع القوّى السياسيّة الأخرى². وأسّسوا أكثر من حزبٍ سياسيٍّ، كان من أشهرها: حزب النور، وحزب الفضيلة، وحزب الأصالة. ذلك فضلاً عن أحزاب السّلفيّة الجهاديّة، مثل: حزب البناء والتنمية التابع للجماعة الإسلاميّة، وحزب السّلامة والبناء التابع لجماعة الجهاد الإسلاميّ.

كما يمكن القول: إنّه على الرّغم من وجود بعض الاختلافات الشّكليّة بين الصّور المختلفة، ومراحل تلك الحركة وتطوّراتها ومُسمّياتها بدءاً من الحركة

1- عبد المنعم منيب، الحركات الإسلاميّة بعد الثورة المصريّة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2012م، ص 13.

2- محمد حافظ دياب، السلفيون والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م، ص 9-10.

الوهابية، مرورًا بالحالة المغربية، فالمشروع المصري، وانتهاءً إلى السلفية الجهادية، فإن الموقف من الغرب يظل واحدًا. فموقف التيار السلفي من الغرب يبدو أكثر حدة مما نجده لدى التيارات الإسلامية الأخرى؛ إذ يرى التيار السلفي أن الأزمة تكمن في الغرب «الكافر» مُتخذًا من تزامن الأزمة مع الاستعمار حجة مُتكررة، ومُنشئًا خطابًا للأزمة يمكن وصفه بخطاب الضحية، كَوْن الأمر ليس إلا مؤامرة خارجية لها جذورها التاريخية وتجلياتها الراهنة في تعامل الغرب مع العالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية، وضياع الأندلس، والحقبة الاستعمارية، وإنشاء الكيان الصهيوني، وصولًا إلى اضطهاد مسلمي البوسنة والشيستان، وغزو أفغانستان والعراق. وما زال الغرب من منظور التيار السلفي هو سبب تردّي العالم الإسلامي¹. وقف السلفيون في مختلف ربوع الأمة الإسلامية وقفة مُتشددة تجاه مظاهر التقليد الغربي المذموم؛ ورأوا أنه لا فضل للغرب إلا بمقدار ما تمدّه به آلة القوّة المادية العمياء، التي حصل عليها من باب الغلبة العسكرية والتفوق الاقتصادي والتقني، ودون ذلك، ما من دليل معرفي على وجهة مُدوّنته أمام حجة الإسلام، فضلًا عن تلبس قيمه بالمفاسد والردائل.

هكذا، رفض التيار السلفي كل ما أتت به الحداثة الغربية التي رأى أنها قد ألغت الدين وكرّست الإلحاد وتنكرت للمقدس، إمّا باسم العلم، أو باسم الأيديولوجيا، أو العقل، ورأت أنها اتّجاءً فكريًا أشدّ خطورةً من الليبرالية والعلمانية والماركسية؛ بل ومن كل ما عرفته البشرية من مذاهب واتّجاهات هدامة؛ وذلك لأنها تتضمن كل تلك المذاهب الفكرية، وهي لا تخصّ مجالات الإبداع الفني، والنقد الأدبي، ولكنها تخصّ الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على حدّ سواء، ومن ثمّ، حسبها أنصار السلفية فكرًا هدامًا يتهدّد أمتنا، وتراثنا، وعقيدتنا، وعلمنا، وعلومنا، وقيمنا، وكلّ شيء في ماضينا وحاضرنا، وهي محض فكرة من الأفكار التي ابتليت بها الأمة. ومن ثمّ، وجب على الجميع التصدي لها، وفي ذلك يقول أحدهم: «ومن تلك الأفكار التي ابتليت بها الأمة، وبدا خطرها يظهر في ساحتنا، مذهب فكري جديد يسعى إلى هدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتّمرد على الأخلاق، والقيم، والمعتقدات؛ وذلك

1- محمد حافظ دياب، نقد الخطاب السلفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2018م،

المذهب أطلق عليه كهانه وسدنة أصنامِه اسم الحداثة»¹. انطلاقاً من ذلك الموقف، بدأ رفض السلفية للحداثة الغربية بكل مقوماتها على مختلف المستويات؛ فعلى المستوى السياسي: بدت عندهم الديمقراطية «بدعةً غريبةً»، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان مؤامرة يهودية... أمّا على المستوى الفقهي، فرفضت السلفية النظر إلى أهل الذمة على أنهم مواطنون لهم الحقوق والواجبات نفسها التي هي للمسلمين المشاركين لهم في الوطن. كما رفضت التوفيق بين ظاهر النصّ وتعارضه مع المصلحة، وتمسكت بالفهم الظاهري دون إعمال للتأويل؛ بل رأت في التأويل دعوةً مُستترّةً لتحريف المعنى عندما عجز أنصار الحداثة من دعاء التأويل وإعادة القراءة عن تحريف النصّ الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه². وفي الطّب، تمّ رفض زراعة الكبد، وعمليات نقل الأعضاء بصفة عامة لمرحلة طويلة. أمّا على المستوى الاجتماعي، فرفضت فيه أيضاً منجزات الحداثة، وخاصة في ما يخصّ حقوق المرأة، وقضية ختان الإناث. وفي مجال التعليم، رفضت العلوم الغربية في السياسة والاجتماع والفلسفة والآداب؛ لأنها في مجملها من صنع الجهلية³. وهكذا، باتت الحداثة الغربية عند أنصار السلفية خطراً داهماً يُهدّد الدين، والملة، والأخلاق، والقيم، والمعتقدات.

من هنا، أفضى إيمان الخطاب السلفي بكفاءة مرجعيته التراثية، إلى القطيعة مع الغرب على المستوى المعرفي، وبخاصة ما يتصل بحقول المعرفة الإنسانية المتعدّدة، وسمح بأن تتحوّل تلك القطيعة إلى «عداوة» للغرب⁴. فكلّ ما ترمي إليه الحداثة الغربية، هو «محاولة نبد الشريعة، والقيم، والمعتقدات، والقضاء على الأخلاق والسلوك باسم التّجديد، وتجاوز جميع ما هو قديم، وقطع صلتها به»⁵.

1- عوض بن محمد القرني، الحداثة في ميزان الإسلام، دار هجر، القاهرة، 1988م، ص 12.

2- سيد قطب: معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة- بيروت، 1979م، ص 127.

3- محمد عبد الفتاح السروري: الإسلام والحداثة، الحوار المُتمدّن، العدد: 2583 - 2009 / 3 / 12 - 10:36 - المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني، تمّ الاطلاع في تاريخ 4/3/2021، على الموقع الآتي:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=165522>

4- محمد عبد الفتاح السروري: الإسلام والحداثة، الحوار المُتمدّن، مصدر سابق، ص 370.

5- عبد العزيز بن عبد الله بن باز، تقرّظ لكتاب، عوض محمد القرني، الحداثة في ميزان الإسلام، دار هجر، القاهرة، 1988م، ص 6.

كما ينظر التيار السلفي إلى الغرب بوصفه عدوًّا أصيلاً للإسلام، مُرتبياً أن الغرب قد حاول منذ العصور الوسطى أن يتخلص منه، وها هو يعاود الكرة مرة أخرى في ظروف مختلفة، الغرب فيها هو الأقوى، والمسلمين هم الأضعف، يستخدم فيها السلاحين: العسكري والفكري في إصرار واضح لاجتثاث الإسلام. ولذلك، يؤكد التيار السلفي مقاطعة كل ما هو غربي، والتمسك بكل ما هو إسلامي أصيل. ويؤكد -أيضاً- أن أي استيراد لنمط (نسق) حضاري؛ كي يعمل في غير بيئته وتاريخه، فإنه مجرد انبهار وتقليد مثل تقليد القردة. وفيه تضيع الهوية، وتُفقد الثقة في النفس، وأن الغرب إذا ظلت التبعية له فإن ذلك لن يسلمنا إلا للدُّل والانكسار، فهو لا يورد إلينا إلا أسوأ ما عنده، الذي صنَع خصيصاً للدُّول «المُتخلفة»، وقد يشمل ذلك نظريات علمية في الاجتماع والتنمية¹.

يحولنا المنهج السلفي إلى أن إصلاح شأن هذه الأمة لن يكون إلا بما صلح به أولها، وهو المحافظة على المنهج الإسلامي كما كان في ذروته الشامخة وقمته الحضارية، وهو النموذج المُتحقق في القرون الأولى المفضلة، الذي تحقَّق فيه الشكل العلمي والتنفيذ الفعلي، ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها مُمثلة في العقيدة خضوعاً للتوحيد، وبياناً لدور الإنسان في الحياة، وتنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المُتعددة، في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وروابط الأسرة، وفصائل الأخلاق².

هكذا أفضى إيمان السلفيين بكفاءة مرجعيتهم إلى قطيعة مع الغرب، تحوّلت إلى عداوة، والنظر إلى الغرب بوصفه كافرًا، وأمريكا لديهم هي بلاد «اللحم الأبيض والحاسوب». والنظر إلى خصومه داخل المجتمعات الإسلامية بوصفهم مُتأمرين وعملاء للغرب الكافر³.

1- عادل حسين، الحركات الدينية المتطرفة، ضمن كتاب: المُتشدِّدون المُحدثون-دراسة لحركات إسلامية معاصرة، الجزء الثاني، إشراف: أحمد خليفة، تحرير: سهير لطفي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2013م، ص544.

2- مصطفى حلمي، السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، دار الدعوة، الإسكندرية، 1991م، ص4.

3- محمد حافظ دياب، نقد الخطاب السلفي، مصدر سابق، ص371.

2. موقف الإخوان المسلمين من الغرب:

تعدُّ جماعة الإخوان المسلمين من أشهر فصائل الحركة الإسلامية وأكثرها انتشارًا في العالم الإسلامي، أسَّسها الشيخ حسن البنا في الإسماعيلية في العام 1928م، وسرعان ما انتشر فكر الإخوان في كثير من البلدان الإسلامية الأخرى، وطبقًا لمواثيق الجماعة، فإنَّ «الإخوان المسلمين» يهدفون إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظور إسلامي شامل، حيث حسبت الجماعة نفسها «دعوةً سلفيةً، وطريقةً سنيَّةً، وحقيقةً صوفيَّةً، وهيئةً سياسيَّةً، وجماعةً رياضيَّةً، ورابطةً علميَّةً ثقافيَّةً، وشركةً اقتصاديَّةً، وفكرةً اجتماعيَّةً». وكان من أهمِّ أعلام الجماعة الفكرية والعلمية: حسن البنا، وسيد قطب، وسعيد حوى، ومصطفى السباعي، ومحمد الغزالي، ويوسف القرضاوي، وزغلول النجار. وقد تبلور موقفها المُعادي للغرب منذ تأسيسها، حيث شاركت في الجهاد، وحركة المقاومة ضدَّ الاحتلال الإنجليزي الذي طالما اتَّهمته الجماعة بالتسبُّب في ضياع دولة فلسطين، وإسقاط الخلافة العثمانية. على الرِّغم من وصفها من أعدائها - في أحيان كثيرة - جزءًا من المؤامرة الغربية للقضاء على حركات المدِّ الثوريِّ، والتَّحرُّر الوطنيِّ المناهضة للإمبريالية الغربية. لقد وقفت جماعة الإخوان المسلمين من الغرب موقفًا حاسمًا، وهو موقف الرِّفْض والانغلاق؛ إذ إنَّها رأَت أنَّ الإسلام بمفرده قادرٌ على التصدِّي لكلِّ تفاصيل مظاهر حياة الفرد والمجتمع دون الحاجة إلى اقتباس من حضارات وأنظمة أجنبية¹. ويمكننا الوقوف على موقف الإخوان المسلمين التَّفصيليِّ من الغرب بالرجوع إلى أشهر كتابها وهو سيد قطب، الذي رأى أنَّ الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات؛ مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي. المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يُطبَّق فيه الإسلام عقيدةً وعبادةً، شريعةً ونظامًا، خلقًا وسلوكًا،... والجاهليُّ هو المجتمع الذي لا يُطبَّق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوُّراته، وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وخلق وسلوكه. وفي هذا الأخير تقبع كلُّ المجتمعات القائمة اليوم بلا استثناء². وأدخل في إطار «الجاهلي» جميع المجتمعات القائمة اليوم في

1- د. جيلالي بوبكر، موقف الفكر العربيِّ المعاصر من الحضارة الغربية بين السُّلب والإيجاب، تمَّ الاطلاع عليه في 4/3/2021، على الرِّابط الإلكتروني الآتي:

<https://www.balagh.com/mosoa/article>

2- سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة الشرعيَّة السادسة، 1979م، ص 105.

الأرض فعلاً... بما فيها الشيوعية والوثنية واليهودية والنصرانية؛ بل والمجتمعات الإسلامية التي لا تعطي «الحاكمية» لله في كل شؤونها بالمعنى القطبي.

بناءً عليه، يُفرق سيد قطب بين ثقافتين؛ الثقافة الإسلامية والثقافة الجاهلية، فيقول: «إننا اليوم في جاهلية مثل الجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم. كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم. حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً، هو كذلك من صنع تلك الجاهلية!!»¹.

لا يجوز عند سيد قطب تلقي الثقافة للمسلم في دولة «الحاكمية» إلا عن التصور الإسلامي ومصدره الرباني، تحقيقاً للعبودية الكاملة لله وحده. ولكنه يرى أنه من الممكن أن يتلقى المسلم في العلوم البحتة، مثل: الكيمياء، والطبيعة، والأحياء، والفلك، والطب، والصناعة، والزراعة، وطرق الإدارة - من الناحية الفنية الإدارية البحتة - وطرق العمل الفنية، وطرق الحرب والقتال - من الجانب الفني - إلى آخر ما يشبه ذلك النشاط.. يملك أن يتلقى في هذا كله عن المسلم، وغير المسلم، وإن كان الأصل في المجتمع المسلم حين يقوم، أن يسعى إلى توفير تلك الكفايات في تلك الحقول كلها، بوصفها فروضاً كفاية، يجب أن يتخصص فيها أفراد منه. وإلا أثم المجتمع كله إذا لم يوفر تلك الكفايات، ولم يوفر لها الجو الذي تتكوّن فيه، وتعيش، وتعمل، وتنتج.

أما في ما يختص بحقائق العقيدة، أو التصور العام للوجود، أو يختص بالعبادة، أو يختص بالخلق والسلوك، والقيم الموازين، أو يختص بالمبادئ والأصول في النظام السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو يختص بتفسير بواعث النشاط الإنساني، وبحركة التاريخ الإنساني... فلا يجوز تلقيه إلا من ذلك المصدر الرباني، ولا يتلق في هذا كله إلا عن مسلم يثق في دينه وتقواه، ومزاولته لعقيدته في واقع الحياة². وهكذا تبلورت وجهة سيد قطب من الثقافة بصفة عامة.

يبیح سيد قطب للمسلم أن يطّلع على كل آثار النشاط الجاهلي. ولكن، لا ليكوّن منه تصوّره ومعرفته في تلك الشؤون كلها؛ إنّما ليعرف كيف تنحرف الجاهلية! وليعرف كيف يصحّح تلك الانحرافات البشرية ويقومها، بردها إلى أصولها

1- سيد قطب، معالم في الطريق، مصدر سابق، ص 17 - 18.

2- مصدر نفسه، ص 126.

الصَّحِيحة في مُقَوِّمات التَّصَوُّر الإسلاميّ، وحقائق العقيدة الإسلاميّة¹. بناءً عليه، يرى أن اتِّجاهات «الفلسفة» بجملتها، واتِّجاهات «تفسير التَّاريخ الإنسانيّ» بجملتها، واتِّجاهات «علم النفس» بجملتها - عدا الملاحظات والمشاهدات - ومباحث الأخلاق بجملتها، واتِّجاهات التَّفسيّرات والمذاهب الاجتماعيّة - عدا المشاهدات والإحصائيّات - كلّها فكر جاهليّ متأثرة بتصورات اعتقاديّة جاهليّة، ومعظمها - إن لم يكن كلّها - تتضمّن في أصولها المنهجية عداءً ظاهراً، أو خفياً للتَّصَوُّر الدِّينيّ جملة، وللتَّصَوُّر الإسلاميّ على وجه الخصوص². من ثمّ، تكون الثَّقافة عند سيد قطب ثقافتين: ثقافة إسلاميّة مستندة إلى المنهج الربّانيّ الإسلاميّ، وثقافة جاهليّة تقوم على قاعدة إقامة الفكر البشريّ إلهاً لا يرجع إلى الله في ميزانه. ويعود سيد قطب إلى فكرة بضاعتنا زُدَّت إلينا؛ إذ يرى أن الاتِّجاه التَّجريبيّ الذي قامت عليه الحضارة الصناعيّة الأوروبيّة الحاضرة، لم ينشأ ابتداءً في أوروبا؛ وإنّما نشأ في الجامعات الإسلاميّة في الأندلس والمشرق، مُستمداً أصوله من التَّصَوُّر الإسلاميّ وتوجُّهاته، إلى الكون وطبيعته الواقعيّة، ومُدخراته وأقواته، ثمّ استقلّت النهضة العلميّة في أوروبا بذلك المنهج، واستمرت تَنميّه وتُرقيّه؛ بينما ركذ وتُرك نهائياً في العالم الإسلاميّ؛ بسبب بُعد ذلك العالم تدريجياً عن الإسلام، وبسبب هجوم العالمين: الصّليبيّ والصّهيونيّ على المجتمعات الإسلاميّة³. لم يبق الغرب - من منظور قطب - على الصّلة بين المنهج الذي اقتبسته من المسلمين وأصوله الاعتقاديّة الإسلاميّة؛ وإنّما شردت به بعيداً عن الله، في أثناء شرودها عن الكنيسة، التي كانت تستطيل على الناس - بغيّاً وعدواناً - باسم الله ليصبح نتاج الفكر الغربيّ بجملته - وهذا بيت القصيد هنا - شأنه شأن إنتاج الفكر الجاهليّ في جميع الأزمان، وفي جميع البقاع شيئاً آخر ذا طبيعة مختلفة من أساسها عن مقوِّمات التَّصَوُّر الإسلاميّ، ومعادية في الوقت ذاته عداءً أصيلاً للتَّصَوُّر الإسلاميّ. ولذلك، وجب على المسلم أن ينأى عن ذلك الفكر الجاهليّ، ولا يأخذ العلم إلاّ عن مسلمٍ تقيٍّ، يعلم عن دينه وتقواه ما يطمئنه إلى الأخذ عنه.

1- سيد قطب، معالم في الطريق، مصدر سابق، ص 127.

2- مصدر نفسه، ص 128.

3- مصدر نفسه، ص 129.

فحكاية فصل العلم عن صاحبه حكاية لا يعرفها الإسلام¹. هكذا، ترفض جماعة الإخوان المسلمين من خلال مفكرها الأكبر الفكر الغربي قلبًا وقالبا، مُستثنيةً منه ما اعتمد منه على الملاحظة والتجربة والإحصائيات؛ لأنه لا دخل للفكر البشري فيها، مع التأكيد أنه لا يجوز للمسلم أن يقتبس أي شيء من علوم الغرب المادية البحتة إلا عندما لا يجد مُسلما تقيًا يأخذ عنه تلك العلوم، فإذا وجد فلا يجوز له، وعليه أن يُقاطع كل علوم الغرب جملةً وتفصيلاً؛ لأن الإسلام - من منظوره - لا يقبل نظرية فصل العلم عن صاحبه، وأن العلم الذي ينفصل عن قاعدته الإيمانية ليس هو العلم الذي يعنيه القرآن، ويشني على أهله.

الخاتمة

انتهى هذا البحث إلى نتائج عدّة مهمّة نُلخصها في ما يلي:
 أوّلاً: رأى أنصار ذلك التيار (تيار الرّفص والانغلاق) ضرورة الرّفص والانغلاق في التّعامل مع الحضارة الغربيّة؛ ورأى أولئك في تلك الحضارة دعوةً صريحةً إلى هدم عقيدة التّوحيد الخالصة عن طريق إشاعة نحل الوثنيّة والدهريّة والباطنيّة والإلحاد والتّصوّف الفلسفي. كما اعتقدوا أنّ الثقافة الغربيّة هي دعوة إلى هدم الشريعة الإسلاميّة بإثارة دعوات العلمانيّة والعقلانيّة وغيرها، وإلى هدم الثقافة الإسلاميّة بالترويج للفلسفة الماديّة والتفسير الماديّ للتاريخ، وإلى هدم مفهوم الإنسان عن طريق التّرويج لنظريات فلسفيّة وأنثروبولوجيّة ماديّة. وإنّ الغرب يعمل من خلال غزوه الثقافيّ إلى زلزلة مفهوم عالميّة الإسلام بالدعوة إلى وحدة الأديان، والدعوة إلى قبول التعدديّة الدينيّة التي يتساوى فيها جميع الأديان، السّماوية منها مع الوضعيّة. كما يعمل على تمزيق الوحدة الإسلاميّة بالدعوة إلى الإقليميّات والقوميّات، وإثارة روح الشّعوبيّة. فكان الحلّ الأمثل أمام أنصار ذلك التيار خيار الرّفص والانغلاق.

ثانيًا: تفادى تيار الرّفص والانغلاق بدعوته إلى الانغلاق التّام تجاه كلّ ما هو غربيّ؛ ذلك المأزق الذي وقع فيه التيار الوسطيّ الذي ينادي بالإفادة من منتجات الغرب العلميّة التّقنيّة، مع ضرورة البعد عن العقديّ والثقافيّ والأيديولوجيّ؛ لأنّ ذلك المنزع ينمُّ عن فهم ناقصٍ تمامًا لطبيعة الممارسة العلميّة النظريّة، حيث

1- سيد قطب، معالم في الطريق، مصدر سابق، ص 130.

إنَّ العلم في ذلك المنظور يتمُّ اختزاله إلى مجموعة من المعارف والمعلومات التّقنيّة، المفصولة التي قامت عليها، عن الرّؤية الفلسفيّة التي تكمن في أساس كل ممارسة علميّة تجربيّة، والنّظر إليه فقط بوصفها جملةً من المُكوّنات الماديّة التكنولوجيّة Hard Ware، ومن دون استيعاب للحاجة المُلحّة إلى المُكوّنات، أو القيم النّاعمة الحضاريّة Soft Ware الأكثر أهميّة، التي تجعل للمكوّنات الماديّة فائدتها المرجوة، فيما بنية العلم لا يمكن تفكيك أجزائها على سبيل البتر، والقطع، والانتفاء.

ثالثاً: رفض (تيار الرّفص والانغلاق) الحضارة الغربيّة جملةً وتفصيلاً؛ إذ رأى أنّها تتكوّن من شطرين: مادّي وثقافيّ؛ ورأى أنّ الشّطر المادّي منهجاً وموضوعاً، إسهاماً إسلامياً خالصاً، أخذه الغرب عن المسلمين، فما هي سوى بضاعتنا رُذّت إلينا. أمّا الثّقافة النّظريّة البحتة من فلسفة، وأخلاق، وغير ذلك من علوم، ومعارف لا تتصل بالملاحظة والتّجربة، فعندنا ما هو خيرٌ منها من علوم ومعارف تستند إلى الوحي، والوحي معصوم، أمّا ما يستند إلى العقل من فلسفات وعلوم ومعارف فنحن في غنى عنه؛ لأنّ الله سبحانه لم يضمن لنا العصمة في الآراء العقليّة، فإذا ما كان عند الغرب مفيداً فعندنا ما هو أحقّ منه في الإلهيات، والأخلاق، وسائر المعارف، وهو مضمون بعصمة الوحي، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

رابعاً: إنّ أهمّ ما يمكن أخذه على تيار الرّفص والانغلاق هو أنّه أكّد تأكيداً، وأصرّاً إصراراً على أنّ الإسلام بمفرده قادرٌ على التّصدّي لكلّ تفاصيل مظاهر حياة الفرد والمجتمع دون الحاجة إلى اقتباس من حضارات وأنظمة أجنبيّة. ومع ذلك، وعلى الرّغم من ذلك الإصرار منهم على شموليّة الإسلام وتفردّه، وتمييز كلّ نظمه ومفاهيمه عن كلّ النّظم والمفاهيم الغربيّة، لم يفلحوا إلّا في إبراز حفنة من النّقاط والقضايا المحدودة للغاية لإثبات تميّز الإسلام واختلافه عن المناهج والقيم الغربيّة، ركّزوا عليها مراراً وتكراراً، من دون أن يتجاوزوها إلى غيرها إلّا في ما ندر. وأعني بتلك النّقاط: موضوع الرّبا وفائدة البنوك، وسفور المرأة، وتحديد النّسل، وتطبيق الحدود الشرعيّة، وكرهة العلمانيّة والعقلانيّة، والتّفرة بين المسلمين وأهل الذّمّة، والنّفور من استخدام سبيل البحث العلميّ والمنهج التاريخيّ في مجال الإسلاميات. أمّا ما عدا ذلك، فلا يكاد يكون هناك علاج، أو برنامج، أو فكر. ولذلك، كان

انشغال ذلك التيار بالفكر الغربي هو انشغال سلبي اكتفى بالتقد، ولم يُقدّم بديلاً، ولم يحاول أنصاره أن يوجّهوا الإسلام في قنوات خلاقية، ولكنهم قيّدوه بنظرة رومانسية درامية لتاريخه، أساسها انتقاء لما يزينها وإقصاء لما يشوبها، حتّى بدا على ذلك التيار العجز التام أمام تفاقم مشكلات المجتمع الإسلامي، وفقدت حجج أنصاره بريقها الإقناعي أمام عموم المثقّفين، وفقدوا - هم أنفسهم - صلتهم بالعصر واحتياجاته، وتعاظم المدّ الفكري والحضاري الغربي.